الفضاء السيبيري والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الافتراضي

- بين جغرافيا الواقع والجغرافيا الافتراضية -

الباحثة: نوال بركات

جامعة بسكرة، الجزائر

الملخص:

نجح الفضاء السيبيري الذي شكله الإنترنت في الجمع بين أفراد ينتمون إلى هويات مختلفة في مجموعات تعد تجمعات اجتماعية تشكلت من أماكن متفرقة في أنحاء العالم بين أفراد يتقاربون ويتواصلون فيما بينهم عبر شاشات الكمبيوتر والبريد الإلكتروني يتبادلون المعارف فيما بينهم ويكونون صداقات، يجمع بين هؤلاء الأفراد اهتمام مشترك ويحدث بينهم ما يحدث في عالم الواقع من تفاعلات ولكن ليس عن قرب وتتم هذه التفاعلات عن طريق آلية اتصالية هي الانترنت الذي بدوره ساهم في حركات التشكل الافتراضية.

تطرح هذه الورقة البحثية مفهوم الفضاء السيبيري من الناحية السوسيولوجية محاولة للوقوف على معناه والقضايا المثارة حوله ومدى تأثر العلاقات الاجتماعية به، وتختتم الورقة برؤية مستقبلية حول مستقبل العلاقات الاجتماعية في العالم الافتراضي.

Abstract :

The virtual space has managed to combine individuals belonging to different identities in groups, and individuals communicate and converge and share their knowledge and friendship and gathering common interests occurs, including interactions of what is happens in the real world, but not closely, but through the communication mechanism called virtual communities.

During this presentation, we discuss the concept of virtual space or socially Cyber space and we try to highlight the issues around it and how it affects social relations, and conclude with a futuristic vision of relations social in the virtual world.

المنارة للاستشارات

مقدمة:

يضرب مفهوم الجماعة الاجتماعية بماض بعيد في تاريخ علم الاجتماع، ولقد تمت دراسة الجماعات الاجتماعية وتفاعلاتها بأشكال وطرق متعددة، وأيضا الظواهر المختلفة التي ترتبط بها اعتمادا على فلسفات وخلفيات اجتماعية متباينة، والجديد في هذا الشأن أن الانترنت ساهم في خلق أنماط غير تقليدية من الجماعات ومن العلاقات الاجتماعية والتفاعلات التي لا ترتبط بهوية أو قومية بذاتها ولا ترتبط أيضا بإطار فيزيقي محدد المعالم والأبعاد ولكنها تتم عبر الفضاء المعلوماتي الذي تشكل بفضل الانترنت، لا يشترط في تأسيس هذه الجماعات بيئة جغرافية واحدة أو هيكل أو بناء محدد لها كما هو متعارف في الجماعات التقليدية، ولكن تتم العضوية في هذه المجتمعات من خلال معرفة العضو المتفاعل باستخدام تقنية العبور إلى الجماعة والاهتمامات المشتركة يطلق عليها المجتمعات الافتراضية.

سنتطرقفيما يلي إلى مفهوم الفضاء السيبيري من الناحية السوسيولوجية ونقف على معناه والقضايا المثارة حوله ومدى تأثر العلاقات الاجتماعية به، برؤية مستقبلية حول مستقبل العلاقات الاجتماعية في العالم الافتراضي، وشبه موازنة ما بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي.

أولا:- الفضاء السيبيري والمجتمع الافتراضي:

1. مفهوم الفضاء السيبيري :

الفضاء السيبيري، هو ذلك المكان الذي أوجدته تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وفي مقدمها الانترنت. ويرتبط الفضاء السيبيري ارتباطا وثيقا بالعالم المادي، عبر البنى التحتية المختلفة للاتصالات، والأنظمة المعلوماتية، وعبر العديد من الخدمات، التي لم يكن بالإمكان الحصول عليها من دونه.

وكلما اتسعت الرقعة الجغرافية لاستخدامات مواقع التواصل الاجتماعي وتعززت نوعيتها كلما اتسعت دائرة الاتصال بالفضاء السيبيري، وتصاعد اهتمام الأفراد والدول بالفرص التي يمكن الافادة منها، كما تصاعد الاهتمام بالمخاطر

المنارة للاستشارات

التي يمكن ان يمثلها هذا الاتساع. من هنا، ارتقى الاهتمام بالفضاء السيبيريإلى المراتب الأولى في اهتمامات واضعي السياسات العامة، على المستويات الدولية، والاقليمية، والمحلية، سواء من ناحية الافراد أو الجماعات، لاسيما في المجالات التجارية، المالية، والحكومية.

فقد بدا واضحا، منذ البداية، ان نمو الانترنت، مشروط بتوفير الثقة فيها كما شددت على ذلكالقمة العالمية لمجتمع المعلومات في مرحلتيها: الاولى[1] والثانية[2]. وكانت وثيقة تفعيل خطة جنيف، قد خصصت الجزء السادس منها، لبناء الثقة والامن، في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات[3].

2- الفضاء السيبيري كفضاء ثالث بين العام والخاص:

يعتبر الفيلسوف الألماني "يورجنهابرماس" صاحب نظرية الفضاء العام (Public Sphere) أول من ركز على ضرورة تجاوز الدولة من خلال تشكيل فضاء اجتماعي للفضاء العمومي، الذي يشكل النواة الأساسية لنقد الدولة وكيفية أدائها الوظيفي السياسي، طور هابرماس مصطلح الفضاء العام في كتابه الشهير (التحولات البنيوية في المجال العام) ويرى أن بعض قضايا المجتمع تتطلب حراكا سياسيا أو اجتماعيا يتشارك فيه ويتداخل العام والخاص، بما ينتج عنه تكوين رأي عام تجاه تلك القضايا، ويعتبر الفضاء العام مكانا عاما للحوار والمناقشة حول قضايا عامة لها أصداء مختلفة سياسيا واجتماعياقد تؤثر على الفرد لحظيا أو مستقبليا.

يمكن تعريف الفضاء العام بأنه المحيط الذي يستخدمه المجتمع لمناقشة وتشكيل حراك عام في كل ما يهمه خارج نطاق أعين السلطات وأدوات مراقبتها، هذا التعريفاقتصر على طبقة معينة من البرجوازيين الأوربيين في القرنين 18و19، وبالتالي حددت الفئة التي درسها وبنى نظريته على أساسها فكان تعريفه ضيقا مما فتح المجال حتى يومنا هذا للبناء وتطوير مفهوم الفضاء العام، فقامت "نانسي فريزر" في أحد مقالاتها (Rethinking the Public Sphere: A Contribution to the Critique of ActuallyExistingDemocracy) بانتقاد "هابرماس" بأن

المنارة للاستشارات

هناك أكثر من فضاء عام واحد، حيث يتشكل الفضاء العام من عدة طبقات متماثلة من الفضاءات العامة، تبنى على أساس العرق، الجنس، اللون، الوضع السياسي، الوضع الاجتماعي، والمهنة، وهي بشكلها الكامل محددات للفضاء العام الواحد.

وما يهمنا هنا أن هذا الفضاء العامهو مكان الحوار والنقاش داخل المجتمع حول القضايا، وهناك مفهوم الفضاء العام الآخر (Public Space) وهو تلك الأمكنة بشكلها الملموس كالحدائق والمدارس والشوارع والأسواق والملاعب والأماكن التاريخية والمكاتب العامة والساحات..، وبالنظر إلى الفضاء العام الملموس، فإننا نجد أنه عبارة عن ترميز وانعكاس للمحيط العام الذي يتحدث عنه هابرماس، وهذا يقود إلى عالم الفضاء والأماكن الافتراضية كالأنترنتومواقع التواصل الاجتماعي.

لوسائل الإعلام عامة ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة دور مهم في إثارة الجدل والنقاش حول القضايا المجتمعية والسياسية،ففي السابق كانت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة تتبع لرقابة الدولة بشكل كبير، ورغم التطور الكبير في وسائل الإعلام إلا أن هذا النوع ما زال مؤطرا سياسيا، ويبث مواد ومعلومات تخدم طرفا معينا على حساب أطراف أخرى لتحقيق مكاسب سياسية أو اقتصادية من خلال تضليل الرأي العام.

مع ظهور مواقع التواصل الاجتماعي وزيادة مساحة الفضاء العام والتغلب على عنصر مراقبة الدولة على وسائل الإعلام التقليدية، أصبح الإعلام يلعب دورا إيجابيا في دعم وتأطير الرأي العام وإثراء الجدل السياسي والاجتماعي في المجتمع. ويؤدي استخدام مواقعالتواصل الاجتماعي إلى الحث على مبادئ الحكم الصالح والرشيد في المؤسسات العامة واستبعاد تفكيرها الفئوي والمصلحي (المحسوبية والفوضى والفساد) والابتعاد عن الطبقية.

المنارة للاستشارات

من جهة مقابلة نجد الفضاء الخاص والذي يعني المكان الذي يمتلكه فرد أو مجموعة من الأفراد غير المؤسسات الرسمية والحكومية، هذا الفضاء يخضع لملكية الأفراد حسب القانون ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو حتى الحكومة ذاتها بالتصرف بهذا الفضاء بدون غطاء قانوني وعادة هي للاستخدام الفردي أو مجموعة من الأفراد ولا يحق للعامة التمتع بها أو استخدامها.

بإسقاط مفهوم الملكية الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، فإننا نجد أن كل شخص يمتلك حسابا محميا بكلمة مرور واسم دخول يمكنه هو وحده ومخول حسب لوائح الموقع بدخول حسابه والوصول إلى المعلومات الخاصة به، بما يتضمنه من رسائل خاصة ومشاركات غير عامة، وحسب لوائح بعض الشركات فإن ما تشاركه في العام يصبح ملكية لتلك الشركة (الصور والفيديوهات). ولكن هل المشاركات على الصفحة العامة للفايسبوكالخاص مثلاتعتبر فضاء عام؟

إن أحد أهم الزوايا التي يجب البحث فيها هو الفضاء الثالث، حيث يتماثل ويتداخل الفضاء العام الملموس (الأمكنة) مع الفضاء الافتراضي في عالم الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، هذا يؤسس لحياة عامة غير رسمية خارج جدران البيت والعمل والأماكن العامة، في هذا الفضاء تزيد القيمة المعنوية للمشاركة السياسية في المجتمعات التي تكون حرية التعبير والتجمع محدودة أو محظورة فيها بسبب النظام السياسي، فمواقع التواصل الاجتماعيهي عبارة عن محتويات من البيانات التي يقوم المستخدمون بنشرها وكتابتها ومشاركتها، سواء أكانت اجتماعية أو سياسية، ولكن الدولة تواجه تحديات حقيقية عندما يكون المحتوى المنشور يمس بممارساتها وكيفية إدارة شؤون الدولة، لذلك تضع الدولة عيونها على هذه المواقع وعلى المواد المنشورة.

في عام 2008 قررت شركة يوتيوب تشديد الرقابة على المحتوى الرقمي لها مع منع أي مستخدم من نشر أي محتوى بدون التسجيل المسبق. وفي العام 2012 شددت شركة جوجل وفايسبوك من إجراءاتهما الأمنية بحيث أجبرت

المنارة للاستشارات

المستخدمين على إضافة أرقام هواتفهم المحمولة تحت شروط الحماية. لم تقف فايسبوك عند هذا الحد بل إنها تجبر المستخدمين أحيانا على إرسال صورة بطاقة الهوية، أو إثبات شخصية للشركة بحجج أمنية تمس المستخدمين. وقامت قبلها شركة آبل بتشديد إجراءات تحميل التطبيقات بحيث يكون للمستخدم حساب مربوط ببطاقة ائتمانية كذلك. وفي هذا المضمار يقول "برامان وروبرت" إن الشركات التي تقدم خدمات في العالم الافتراضي تشدد إجراءاتها الأمنية، من خلال اسم مستخدم أو بطاقة هوية أو ائتمان هي عبارة عنشبه عامة أو شبه خاصة أو ما يمكن تسميته "هايبرد".

ثمة عالم افتراضي آخر تمارس فيه كافة النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بما يمثله من وجود للشركات وللأفراد، وبتتبع نظرية "companytown"، الشركة كمدينة لـ "زاك" حيث يلاحظ أنه ومع اختلاف المقدرة على بناء التصورات القانونية واللوائح التي تحكم بموجبها هذه المدينة الرقمية سكانها، يتمتع الفضاء العام الملموس بسهولة التحكم فيه ووضع قوانين وضوابط من قبل الدولة. لكن علينا الاعتراف بأن غياب مراقبة الدولة على الفضاء الثالث لا يعني أنه فضاء غير محدد، فله ضوابط وتستطيع الدولة إيقافه أو الوقوف في هذا الفضاء للحد من الضغوط عليها، تماما كما حدث في مصر وتونس ودول عربية أخرى في العام 2011 ومع أن خدمة الإنترنت تعود إلى شركات خاصة مقابل أن الفرد يدفع مبالغ مالية مقابل تلك الخدمات، إلا أن الدولة استطاعت أن توقف تلك الخدمات.

لذلك فإن التحدي الأكبر في هذا العالم الافتراضي هو مقدرة بعض الشركات الخاصة التي لها خصائص الفضاء الخاص، والتي تقدم خدمات مقابل أموال ربحية، أن تتحكم في الفضاء العام أو شبه العام، وتتحكم في الحياة الفردية والجماعية في مجتمعاتنا المعاصرة إلى حد لا يمكن القبول به لأن هذا يعد تدخلا في الخصوصيات، وهو ما يتطلب أحيانا تدخل الدولة كي توقف هذه الشركات تعدياتها على حرية الفرد.

المنارة للاستشارات

وبإسقاط نفس المعايير التي حددها هابرماس في نظريته على الفضاء الثالث من أجل بناء مجتمع ديمقراطي، تكون فيه المعلومات سريعة الانتشار بحيث يأخذ الفضاء الثالث دورا وحيزا ربما أكثر من الفضاء العام، وهذه المعايير هي:-

- المنزلة الاجتماعية: في الفضاء الثالث يتم التغاضي عن المكانة والمنزلة الاجتماعية لأي شخص، يأتي ذلك لعدم الرغبة في التأثير على تلك المنزلة أو الوضعية بين الناس، ويتم التعبير عن كافة الآراء بشكل حر وكامل دون مراعاة وتأثير لرأي المشاركين وهنا يتحقق مبدأ المساواة.
- سلطة التفسير: تعتبر سلطة التفسير من أهم السلطات في المجتمعات الديمقراطية، ومن يمتلكها هو المواطن العادي وليس الدولة أو المؤسسة الدينية كما أوروبا في العصور الوسطى، وفي العالم الإسلامي ما زالت السلطة الدينية والدولة هي التي تمتلك سلطة التفسير، ولذلك فإنه في الفضاء الثالث تتداخل سلطة التفسير بين المواطن العادي والسلطة الدينية أو الدولة، ويعتبر هذا المعيار أحد المعايير التي يتصارع المواطن والدولة عليه.
- الشمولية: لا يمكن استثناء أي فرد أو مواطن من المشاركة في الجدل السياسي والجدل حول مختلف القضايا المجتمعية. وكما ساعد الإعلام التقليدي على تشكيل الرأي العام، يعمل الإعلام الاجتماعي على صناعة القضايا وتشكيل رأي عام حولها، بل وسهل من ذلك سهولة وصول الفرد إلى مساحته الخاصة في أدوات الإعلام الاجتماعي من خلال الهواتف النقالة الملازمة للفرد طوال الوقت،وأدت الشمولية إلى العودة إلى مفهوم الفضاء العام لهابرماس وتوفير غطاء لنظريته التي درس فيها طبقة واحدة فقط من البرجوازيين الأوربيين، وبدراسة يورجنهابرماس ونظريه الفضاء العام يستطيع الباحثون فهم وسائل الإعلام الاجتماعي الجديد بشكل عميق.

المنارة للاستشارات

3- المجتمع العربي والفضاء الثالث:

إن أية قضية أو رأي يتم نشره أو الإفصاح عنه ولم يكن ضمن إطار الرأي العام فهو ما زال في حكم الخاص والفردي، ولا يحق لأية مؤسسة رسمية أو غير رسمية محاسبة أي مستخدم لأية أداة من أدوات التواصل الاجتماعي، أولاً: لأنه يفتقد لعنصر وجوده في منطقة الرأي العام، وثانياً: إن حرية التعبير تشمل استخدام كل الوسائل المتاحة بشكل فردي والتي كفلها القانون.

وهناك من يرى أن الفضاء العام ليس مجرد ساحة للنقاش حيث من المهم رفع نتائج الحوار إلى السلطات لتكوين قرارات تدعم التغيير الاجتماعي، حيث لا يمكن اعتبار صفحات فايسبوك أو حسابات تويتر المحمية فضاء عاما لأنها محمية من قبل الشخص، وإن تم توزيع أو إعادة نشر أو استخدام تلك المواد المنشورة على صفحته بدون قبول خطي، يمكن اعتباره تعديا على الحرية الشخصية، لذلك فإن بعض مواقع التواصل الاجتماعي تحدد خيارات مشاركة الكتابات ما بين عام وخاص وبين عدة فضاءات محددة مسبقا، فإن كانت المشاركة على العام فهي رسالة ومشاركة للفضاء العام ويمكن محاسبة كاتبها إن كان جريمة يعبر عنها، هنا لا بد من التفريق بين الشخصيات العامة التي تشغل مناصب في شركات أو مؤسسات رسمية والحسابات للأفراد العاميين.

فلا يمكن مقارنة حساب وزير أو مسؤول العلاقات العامة في شركة كبرى، أو مدير مؤسسة كبيرة عامة أو خاصة تخدم المجتمع أو مسؤول في حزب سياسي، بحساب شخص عادي كطالب أو متقاعد يبدي رأيه، فالأول يحمل صفة مجتمعية ومؤتمن من قبل عامة الشعب أو طبقة معينة (رجال الأعمال) لإدارة أموال أو شؤون المواطنين، فأي شخص من هذه الفئات يعتبر حسابه في مواقع التواصل الاجتماعي انعكاسا لآرائه العامة ولشخصه الحقيقي ولمؤسسته في آن واحد.

المنارة للاستشارات

ولسوء الحظ فإن المجتمعات العربية تختلط فيها القيم والمحددات المجتمعية غير الرسمية والرسمية، ولهذا السبب تنظر الدولة إلى الفضاء العام بكافة أشكاله كمصدر تهديد، وترى بأن مستخدمي الفضاء الثالث تهديد لقوتها وتعتبر أن مواقع التواصل الاجتماعي تماثل حالة الشارع، وبالتالي تحاول ممارسة القبضة الحديدية على مستخدمي الفضاء الثالث، وأي شيء ينشره أو يشاركه الفرد منتقدا الدولة أو المؤسسة العامل بها، أو الجامعة التي تحتضنه، يعتبر خروجا عن القانون ويجوز معاقبته، وأحيانا تصل الأمور للسجن، في خضم النقاش فإن المواطن والمستخدم العربي عليه أن يؤسس لحياتين: الحياة الأولى يعبر عنها في منفاه الافتراضي باسم افتراضي، والحياة الثانية لتأكيد وجوده، وولائه للدولة والحزب والجامعة. وهذا مخالف للمنطق والعقل ودليل على فشل المؤسسة الاجتماعية بكاملها[4].

ثانيا:- نحو رؤية سوسيولوجيةللمجتمع الافتراضي: تعريفات وسمات:

ساهمت الإنترنت والتي تعد أحد منجزات الثورة الاتصالية في تشكيل فضاء جديد وهو الفضاء الرمزي Cyber space الذي يعد إطارا جديدا لعلاقات اجتماعية عابرة للقوميات والأماكن، فالمتعارف عليه أن الجماعة الاجتماعية مجموعة من الأفراد يجمع بينهم قيم مشتركة وشعور بالانتماء يعيشون في بيئة جغرافية مكانية واحدة تحكمهم قيم وأعراف يجتمعون عليها ويتفقون فيما بينهم علي وسائل الردع وقواعد الضبط الاجتماعي التي تحكم ما يحدث بينهم من علاقات، ولكن الإنترنت ساهمت في تشكيل علاقات تتجاوز الإطار الفيزيقي المكاني وتفاعل الوجه بالوجه وشكل مستخدموه وخاصة الذين يجمع بينهم اهتمامات مشتركة جماعات يطلق عليها Virtual Community[5].

الجماعات الافتراضية هي شكل جديد من أشكال التفاعل الإنساني تتكون هذه التجمعات من مجموعة من الأفراد والذين يستعملون الحاسب الآلي للاتصال بينهم وذلك يختلف عن اتصال الوجه بالوجه[6].

المنارة للاستشارات

فقد نجح الفضاء السيبيري الرمزي الذي شكله الإنترنت في الجمع بين أفراد ينتمون إلي هويات مختلفة ويعد هاورد رينجولدHawardRhingold من الأوائل الذين ساهموا في توجيه نظر العالم صوب دراسة المجتمعات الافتراضية وقد جاء ذلك في كتابه الجماعات الافتراضية Virtual Community، والذي يؤكد فيه بأن هذه الجماعات تجمعات اجتماعية تشكلت من أماكن متفرقة في أنحاء العالم يتقاربون ويتواصلون فيما بينهم عبر شاشات الكمبيوتر والبريد الإلكتروني يتبادلون المعارف فيما بينهم ويكونون صداقات يجمع بين هؤلاء الأفراد اهتمام مشترك ويحدث بينهم ما يحدث في عالم الواقع من تفاعلات ولكن ليس عن قرب وتتم هذه التفاعلات عن طريق آلية اتصالية هي الانترنت الذي بدوره ساهم في حركات التشكل الافتراضية[7].

إن الشكل الجديد للتفاعل الذي طرح له Rhingold –وكان أول من كتب عنه– هو نظام الدردشة على الإنترنت ويتم ذلك من خلال تبادل الحديث والمشاركات عبر الانترنت وهذه التفاعلات لا يشترط أن تكون عن طريق الوجه بالوجه تتم هذه التفاعلات في اللحظات التي يحدث فيها الدردشة بدخول أكثر من طرف في تفاعل آني عبر الإنترنت، إلا أن هذا لم يكن هو الخط الوحيد لتجمعات الإنترنت الافتراضية فهناك تفاعلات اجتماعية فائتة لا تتم في نفس اللحظة ولكن تتم عن طريق البريد الإلكتروني[8].

وقد أطلق Ronldo A- Beghetto (2001) على التفاعلات التي تتم داخل التجمعات الافتراضية 'اتصال إلكتروني تفاعلي، يضم هذا الاتصال أفرادا متنوعين يشتركون في نفس الأفكار والأنشطة[9].

وعلى الرغم من أن هذه الاتصالات تفاعلية إلا أن المشتركين في هذه التفاعلات هوياتهم غير معروفة فالفرد في التجمعات الافتراضية يتنكر في أكثر من شخصية ويستطيع الفرد بذلك أن يعيد نفسه في ذات الجماعة بأكثر من هوية وهذا هو الجزء الذي يقف تحديا أمام دراسة هذه التجمعات[10].

المنارة للاستشارات

إن أهم ما يميز هذه التجمعات الافتراضية هي أنها متاحة للأفراد الذي يريدون المشاركة في أحد أنماطها، فالمدينة الافتراضية على حد قول البرتا روبرت Alberta Ropert وميشيل جينكنسون Jenkinson Michael مدينة لا تنام، فهناك دائما أفراد مشتركون في التفاعلات الافتراضية حتى في منتصف الليل[11].

-ولا غرابة في ذلك- فلقد أصبح الإنترنت بشكل عام جزءا من حياة الناس والجماعات الافتراضية بأنماطها المختلفة باتت تشكل أهمية للعديد من المهتمين بالإنترنت علي وجه خاص وذلك ما دعا ماريا باكردجيفا Maria Bakardjieva إلى أن تعلن أن الحاسوب أصبح أسلوب حياة وذلك في الفصل الذي أعدته بعنوان التكنولوجيا في حياتنا اليومية(Technology in everyday life)[12].

تشكل الدارسة العلمية للجماعات الافتراضية لعدد كبير للباحثين وذلك كونها تقدم تفسيرا لفهم نتائج التقنية الإلكترونية على التفاعل الاجتماعي على الرغم من أن ما يواجه هذا النوع من الجماعات من صعوبات في دراستها قد لا تتوافر في دراسة الجماعات العادية -ذات الاتصالات المباشرة- فهذه العلاقات الكونية الجديدة وليدة التقدم في وسائل الاتصالات فقد اتخذت هذه التجمعات من الإنترنت آلية للاتصال والتفاعل وذلك بعدة مستويات وأبعاد منها البريد الإلكتروني، خدمة النقاش، صفحات الويب ...، وأن هذه التجمعات تفتقد إلي الإطار المكاني وهذه التجمعات يجمع بين أفرادها فضاء مشترك لا يعتمد بالأساس علي المشاركة الفيزيقية الحيوية[13].

لا يختلف اثنان في أن الرغبة في التواصل مع الغير هي نزعة متأصلة لدى الإنسان ومهما قيل عن حوار الإنسان والآلة والإبحار في محيطات الإنترنت، فليس هناك ما هو أروع للإنسان من أن يقيم حوارا مع إنسان غيره على الطرف الآخر يشاركه اهتماماته وهمومه ويتبادل معه معارفه وخبراته، ولقد اقترب اليوم الذي لن يبقي فيه شيء يصعب على الإنسان أن يشارك فيه غيره وذلك بفضل تكنولوجيا المعلومات، ومن الطبيعي أن تنمو الرغبة في التواصل مع ما

المنارة للاستشارات

نشهده في زماننا هذا من ظاهرة الاغتراب والانكفاء على الذات وانقطاع الصلة مع جار السكن، ربما يفسر لنا ذلك سرعة انتشار الجماعات الافتراضية على الإنترنت[14].

فالإنترنت ساهمت في تشكيل وعي الفئات الاجتماعية التي تتفاعل بداخلها وتلعب أيضا دورا حيويا في تكامل منظومة الثقافة والأهم في هذا الصدد هو أن البنية المعلوماتية الجديدة توفر تفاعل بين منظومات الثقافات المختلفة، فالثقافة التي تجمع بين الأفراد الذين يتفاعلون عبر شبكة المعلومات الدولية International net أطلق عليها لفظ الثقافة السيبيريةCyber culture وهي مجموعة متكاملة من النقلات النوعية على الصعيد الثقافي[15].

ولقد احتلت ثقافة الإنترنت مكانا بارزا لها عند دراسة التجمعات الافتراضية فهي ثقافة خاصة بالمجتمعات ما بعد القومية(Post national community) [16].

يشكل هذا النمط الثقافي الجديد إطارا ثقافيا خاصا يجمع بين المنخرطين في التفاعلات الافتراضية، في الوقت الذي ينتشر فيه نمو العلاقات الاجتماعية العابرة للقوميات والحدود يزداد التفاؤل تارة والتشاؤم تارة أخرى، فالبعض يرى أن هذه العلاقات الاجتماعية الجديدة تؤدي إلى تدعيم الحرية والحوار المتبادل وفتح المجال أمام تبادل الأفكار والخروج من سلطة الحكومات التي تستبد بالحريات في حين أن البعض الآخر يجد أن الإنترنت تساهم في سحب الناس من مجتمعاتهم ليصبحوا أقل ارتباطا بقومياتهم، مما يثير القلق حول مستقبل الانتماء إلي المجتمع الحقيقي Real societyكما أن الإنترنت تخلق فرصا للحكومات ليس لها مثيل لمراقبة حياة المواطنين الخاصة[17].

إن الإمكانات الاتصالية الجديدة ساهمت في تقليص المسافات بين القوميات المختلفة في هذا الصدد سهل الإنترنت العلاقات بين البشر الذين يتشاركون نفس الاهتمامات ليتبادلوا بينهم الخبرات والمعارف، ولقد اقترب

المنارة للاستشارات

اليوم الذي لن يبقي فيه شيء يصعب على الإنسان أن يشارك فيه غيره وذلك بفضل تكنولوجيا المعلومات[18].

ومن الطبيعي أن تنمو الرغبة في التواصل والتي امتدت لتشمل تواصلات وعلاقات على المستوى الكوني تشكلت هذه التقاطعات في جماعات افتراضية.يعد مصطلح المجتمع الافتراضي Virtual Community من المفاهيم الجديدة التي برزت من خلال ثورة الاتصالات الحديثة ولقد تعددت الترجمات حول المصطلح نظرا طبيعة المفهوم الجديد فالمصطلحات الجديدة أكثر إثارة للجدل منها إلى الاتفاق لاسيما إن كان أصل المصطلح غربيا وليس أدل على ذلك من الاختلافات في ترجمة هذا المصطلح سوى طرح بعض الترجمات له.

فقد ترجم المصطلح إلى الجماعات الفضائية، وهناك من يرى أن كلمة Virtualمعناها خائلي Virtual Community هي الجماعات الخائلية فقد اختير هنا اسم الفاعل (خائل) مقابل لكلمة Virtual مما يسمح باشتقاق خائلية، خائلي، يخيئل، مخيئل، خيئلة، وخائلات وقد تم توسيع فعل (خال) المتعدي (في مثل خال من السراب ماء) إلى معنى التعدية بأداة (خال له الأمر كائنا)، وهناك أيضا من ترجم مصطلح Virtual إلى مصطلح افتراضي[19] ،في حين ترجم مصطلح Virtualبكلمة متخيلة لتصبح Virtual Community الجماعات المتخيلة[20].

وقد تنوعت التعريفات حول مفهوم الجماعات الافتراضية من ذوي التخصصات المختلفة ما بين مهتمين بعلوم الحاسب والاتصالات ومهتمين من علماء الاجتماع ورجال السياسة وقد عرفت بأنها جماعات تشكلت إثر الثورة المعلوماتية التي أتاحت الفرصة إلى تقليص التباعد الجغرافي مما أتاح الفرصة للاتصال بين أفراد يقعون عبر مسافات متباعدة يجمع بين أفرادها نوع من الإحساس بالولاء والمشاركة[21].

وعرفها Jonathan Layzer وآخرون بأنها تجمعات تشكلت من خلال شبكة الإنترنت لا يقطن أعضاؤها في بوتقة جغرافية واحدة ولكنهم موزعون في أنحاء مختلفة ومنتشرة حول العالم يجمع بين هذه التجمعات اهتمامات مشتركة

المنارة للاستشارات

ومختلفة وتتعدد أنماطا هذه التجمعات ما بين تجمعات تجارية وتجمعات طبية وتتسع لتشمل أنماط أخرى متعددة[22].

ويرىEV. Brenner إن مفهوم الجماعات الافتراضية هو مفهوم مركب يشير إلي علاقات تظهر بين الأفراد الذين يتشاركون عبر الإنترنت استغل هذا المجتمع التقنيات الإلكترونية وأدواتها في تحقيق وتنفيذ مشاركات اجتماعية، وقد طرح برينر(Brenner) هذا المفهوم في المؤتمر السنوي الذي عقد في لندن في سبتمبر من 2001, والذي كان موضوعه Virtual Community[23].

وتعرف بأنها تجمعات اجتماعية تجمع بين أصحاب الاهتمامات المشتركة وأهل التخصص الواحد وأصحاب الرأي وجماعات السمر والدردشة وتبادل المعلومات والنوادر ويمكن لأي عضو في هذه الجماعة أن يبث حديثه لجميع أعضائها دون استثناء أو يختص فريقا منهم أو يسر لفريق بعينه ما يريد أن يحجبه عن الآخرين ويمكن للعضو أن يقدم نفسه تحت أسماء مستعارة بل ويمكن أن يتنكر العضو في شخصيات متعددة[24].

وهي تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الإنترنت تشكلت في ضوء ثورة الاتصالات الحديثة تجمع بين ذوي الاهتمامات المشتركة، يتواصلون فيما بينهم ويشعرون كأنهم في مجمع حقيقي[25].حيث تعتبر تجمعات اجتماعية تظهر عبر شبكة الإنترنت عندما يدخل عدد كاف من الناس في مناقشات عبر فترة كافية من الزمن يجمع بينهم شعور إنساني كاف بحيث يشكلون مواقع للعلاقات الشخصية عبر الفضاء الإلكتروني[26].

وهناك من يرى أن مصطلح المجتمعات المتخلية من المصطلحات الشائعة والذي يشير إلي تلك الأنماط المتمفصلةمن العلاقات والأدوار والمعايير والنظم واللغات التي تطور بوساطة الأفراد خلال عمليات الاتصال المباشر على الخط كما أشار إلي أن مصطلح المجتمعات المتخيلة لا يزال مصطلحا علميا شكليا[27].

المنارة للاستشارات

من خلال الطرح السابق للمفاهيم التي تتعلق بالجماعات الافتراضية تجدر الإشارة إلى أن ثمة اتفاق حول الآتي:-

- الجماعات الافتراضية تشير إلى تجمعات اجتماعية لا مكانية، بمعنى لا يشكل أعضاؤها تجمعا مكانيا فلا يجمع بين أعضائها إطار جغرافي ولكن هذه التجمعات تنطلق لتشمل أفرادا ينتمون إلى هويات وقوميات مختلفة.
- اتفقت المفاهيم الآنفة على أنه ثمة وسيلة تجمع بين أعضاء هذه الجاليات التي تنتشر في الفضاء الرمزي وهي الشبكة الدولية للمعلومات.
- هناك اتفاق بين جميع المفاهيم على وجود اهتمامات مشتركة بحيث يشترط لعضوية الفرد في إحدى الجماعات الدخول إلى موقع الجماعة التي تتفق واهتماماته بحيث يتقابل مع أعضاء آخرين من نفس الاهتمام بشكل مستمر أو متقطع.
- مكن لأي عضو في الجماعة أن يدخل في مناقشات مع فرد واحد أو أكثر في مضامين تتفق واهتمامات الأفراد كما يمكن للفرد أن يشارك في أكثر من جماعة على حسب ميوله واهتماماته.

من خلال هذه الرؤية السابقة يمكن القول أن هناك تقاطعات بين المجتمعات الحقيقية والمجتمعات الافتراضية، إذ أنه في الغالب يحدث بين المتفاعلين افتراضيا مثلما يحدث في الواقع الحقيقي ولكن ليس عن قرب، يستطيع المنخرط في هذه التفاعلات أن يتجه بالحديث في الوجهة التي تتناسب مع اهتماماته، واهتمامات المتشاركين معه في ذات الجماعة، تتيح هذه التجمعات حرية قد لا تكون متوافرة في الواقع المعاش مثلما هي في الحيز الرمزي.

المنارة للاستشارات

ثالثا:- العلاقات الاجتماعية – بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي-:

1. تطور المجتمعات الافتراضية:

ظهر مصطلح المجتمع الافتراضي في صورته الإنجليزية عنوانا لكتاب هوواردراينجولدRheingold (1993)[28] ويعني جماعة من البشر تربطهم اهتمامات مشتركة، ولا تربطهم بالضرورة حدود جغرافية أو أواصر عرقية أو قبلية أو سياسية أو دينية، يتفاعلون عبر وسائل الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعي الحديثة، ويطوّرون فيما بينهم شروط الانتساب إلى الجماعة وقواعد الدخول والخروج وآليات التعامل والقواعد والأخلاقيات التي ينبغي مراعاتها، وبتعبير دي موورووايجاندde Moor and Weigand (2007) [29] المجتمع الافتراضي هو "نظام اجتماعي تكنولوجي"، يشتمل هذا التعريف على مجموعة من العناصر المهمة هي:-

- جماعة من البشر، تزيد وتنقص، تكبر وتصغر، وفق شعبية الموقع وسهولة استخدامه، غير أن هويات أفراد هذه الجماعة تبقى موضع تساؤل وريبة ما لم يكن لها وجود حقيقي معلوم في العالم الواقعي.
- اهتمامات مشتركة – بالأدب أو العلوم أو الفنون أو الصناعات أو الهوايات أو غير ذلك، وقد تكون الاهتمامات "تافهة"، أو غير جادّة، أو جانحة غير مقبولة من وجهة نظر من لا ينتمون إلى الجماعة أو المجموعة.
- تفاعل يتّصف بالاستمرارية وسرعة الاستجابة،ومن هنا لا يعد البريد الالكتروني مجتمعا افتراضيا، إلا إذا صاحبته الدردشة والرسائل النصية الفورية، تشمل التفاعلات تبادل المعلومات والدعم والنصيحة والمشاعر وفق طبيعة الجماعة أو المجتمع الافتراضي.

المنارة للاستشارات

- وسيلةوفضاء للتواصل، منتدى أو غرفة دردشة أو موقع تواصل اجتماعي أو مجموعة بريدية أو مدونة، أوغير ذلك.
- شروط عضوية – كلمة مرور واسم مستخدم وبيانات وقواعد تنظم المشاركة والتفاعل، وما إلى ذلك.

من بين هذه الشروط ما يميز الجماعات والمجتمعات البشرية التقليدية، كالتفاعل والقواعد التي تنظم حركة الحياة والعلاقات الإنسانية، غير أن الميزة المهمة التي تنفرد بها المجتمعات الافتراضية هي انهيار الحدود الجغرافية والعرقية والقَبَلية التي ظلت تتشكل منها الجماعات والمجتمعات لآلاف السنين.

لا يحدث التواصل في المجتمعات الافتراضية وجها لوجه face-to-face، بل من خلال قنوات اتصال إلكترونية تستخدم فيها الكلمة والصورة والصوت، أو ما ينتج عن مزج هذه الطرائق، إن الكتابة حالة من التواصل لا يُسمَع فيها صوت ولا تُرى فيها صورة, وقد وفرت وسائل الاتصال الحديثة التفاعل بالصوت والصورة، غير أن التفاعل من خلال هذه الوسائل والوسائط يظل يفتقر إلى دفء المشاعر الإنسانية وحميميتها.

يرى دي موورووايجاند de Moor and Weigand (2007) أن تلك المجتمعات تمر بمراحل أربعة هي مرحلة التأسيس والتجريب، ثم مرحلة التدشين والانطلاق، ثم مرحلة النمو من الداخل ثم مرحلة النمو من الخارج. لنفترض مثلا موقعا للتواصل الاجتماعي بين مجموعة من المدرسين، سوف تكون البداية هي إنشاء الموقع وتجريبه على نطاق محدود، حتى إذا تيقن القائمون عليه من كفاءته أطلقوه. بعد ذلك ينضم مدرسون من خارج المجموعة إلى الموقع فيكون النمو من الداخل. قد يبقى الموقع مغلقا على هذه الفئة من الناس، لكن الغالب أن يفتح أبوابه لغير أفرادها فيكون النمو من الخارج، وتتزايد شعبية الموقع وشهرته وتتشعب أغراضه وغاياته.

المنارة للاستشارات

وعبر مراحل تطورها، تسعى المجتمعات الافتراضية إلى خلق ما يسميه المهتمون بهذا الشأن الشعور بالمجتمع أو الجماعة أو sense of community(SOC). من أين ينبع الإحساس بالمجتمع أو الجماعة؟ يوجز ماكميلانوتشافيزMcMillan and Chavis (1986) [30] العوامل التي ينشأ من خلالها هذا الإحساس فيما يلي:-

- الشعور بالانتماء belonging إلى جماعة من خلال عضويتها ومتابعة ما يحدث فيها وسهولة التفاعل مع أفرادها وأحداثها.
- الشعور بالقدرة على التأثير influence/ impact في تلك الجماعة أو المجتمع الافتراضي من خلال ردود الأفعال التي يتلقاها الفرد من بقية أعضاء الجماعة أو أفراد المجتمع الافتراضي، وكذلك التأثر بما يحدث في ذلك المجتمع.
- تبادل الدعم support وإشباع الحاجات النفسية والشعورية والارتباط الوجداني بأفراد الجماعة من خلال تبادل التهاني والتعازي والمواساة والنصيحة وبطاقات المعايدة وما إلى ذلك.
- الحضور والتواجدavailability، وهما نقيض العزلة والغياب اللذين نتجا عن هيمنة القيم المادية وانشغال الجميع بتأمين أسباب الحياة. لا يتصور أن يبقى المرء طويلا في مجتمع افتراضي ليس فيه من يتواصل معه فلا يسمع فيه إلا صدى صوته.
- الثقة trust فلا يستطيع الفرد أن يشعر بالانتماء إلى جماعة أو مجتمع لا يثق في أحد من أفراده ولا يشعر بالأمان فيه. من هنا تبقى المجتمعات الافتراضية في مجملها هشة ما لم تتأسس على علاقات سابقة في العالم الواقعي وما لم تحفظ سكانها من تطفل المتطفلين واحتيال المحتالين. لا بد أن يبذل أفراد المجتمعات الافتراضية جهدا مضنيا في التحقق من هويات من يتفاعلون معهم، ما لم يكن هناك سابق عهد أو "معرفة" على أرض

المنارة للاستشارات

الواقع، فعواقب الوقوع في براثن المحتالين قد تكون وخيمة. في سبيل الشعور بالثقة، يلجأ مستخدمو المواقع الاجتماعية وسكان المجتمعات الافتراضية إلى أصدقائهم في عالم الواقع. ومن أسباب الثقة انتماء الأفراد إلى مؤسسات معروفة حسنة السمعة، ومنها أن يكون هؤلاء الأفراد أنفسهم من الشخصيات العامة.

- الخلفيّة المُشتَرَكَة common background تزداد قوة العلاقات الافتراضية كلما تأسست على خلفية مشتركة في العالم الواقعي أو على اهتمامات وهوايات وميول مشتركة في العالم الافتراضي. لعلنا نلاحظ أن مواقع التواصل الاجتماعي والخدمات الإلكترونية يتجمع فيها الأفراد من الخلفيات العلمية والمهنية والتجارية المشتركة من منطلق أن "الطيور على أشكالها تقع". وقد تنشأ تجمعات افتراضية حول قضية أو "نجم" من نجوم الفن أو الرياضة أو حول مفكر أو عالم أو شخصية سياسية.

من الملائم هنا أن نلاحظ أن تحقق تلك الأسباب - أي أسباب الشعور بالمجتمع أو الجماعة - في العالم الواقعي يقلل من لجوء الأفراد إلى المجتمعات الافتراضية، فالذين تحفل حيواتهم بالعمل والنشاط، ويعيشون حياة أسرية مستقرة، ولهم علاقات اجتماعية مثمرة ويشعرون بتعاطف المحيطين بهم معهم ويحظون بالقبول في الواقع لا يجدون كثيرا من الوقت للحياة في العالم الافتراضي.

ليس هناك ارتباط عكسي حتمي بين الاستقرار والعمل في الواقع وبين استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، غير أن هناك ارتباطا واضحا بين الفراغ وعدم الإشباع النفسي والاجتماعي في الواقع والانهماك في الحياة في العالم الافتراضي.

2. غايات المجتمعات الافتراضية:

من خلال معاينة ما يحدث في تلك المجتمعات نستطيع أن نوجز أسباب ظهورها في السعي إلى تحقيق عدد من الغايات هي:-

المنارة للاستشارات

- غايات دينية أخلاقيةreligious and moral، من خلال الدعوة وتبادل النصيحة والمواد الدينية المسموعة والمرئية والمكتوبة، على أن التمحيص واجب والحذر ضروري لأن الأفكار التي يتبادلها من يرتادون تلك الفضاءات الإلكترونية ليست بريئة من الهوى أو الغرض. لا بد أن كل من له بريد إلكتروني قد وصلته رسالة أو رسائل فيها أحاديث نبوية أو أحاديث قدسية أو أدعية وفيها إلحاح على ضرورة إعادة إرسالها حتى ينال المرسل الأجر والثواب. هنا ينبغي الحذر فليس كل ما تحمل هذه الرسائل يصمد أمام الجرح والتعديل. بعض ما تحمل هذه الرسائل مستفزّ وبعضها فيه استخفاف بمُستَقبِلها – "انشرها إذا كنت مسلماً" أو "إذا لم تنشرها فأنت لا تحب الرسول صلى الله عليه وسلم.
- غايات تجارية Commercial، من خلال التسويق والإعلان والترويج، ويصدق على هذه الغايات في المجتمعات الافتراضية ما يصدق عليها في الواقع من تحايل ومبالغة. تتراوح الغايات التجارية الافتراضية بين التجارة النظيفة البريئة وبين غسيل الأموال والاحتيال، حيث تمتلئ صناديق البريد الإلكتروني برسائل من دول إفريقية تعرض علي المُستَقبِل المجهول أموالاً طائلة في مقابل مساعدة مرسليها في نقلها إلى حساباتهم. وهذا غيض من فيض صنوف الاحتيال الإلكتروني. وقد لفتت الظاهرة نظر كثير من الكتاب، على سبيل المثال، البلوشي (2011) [31].
- غايات سياسية Political من خلال الدعاية والتحريض والتجييش. وقد عاين العالم العربي ما كان لمواقع التواصل الاجتماعي مثل فايسبوك وتويتر من تأثير بالغ في انتقال الثورات من بلد عربي إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى. كذلك كانت صفحات المرشحين في انتخابات المجلس الوطني في الإمارات العربية المتحدة وانتخابات مجلس الشعب في مصر (2011) على فايسبوك وتويتر أداة بالغة التأثير والأهمية.

المنارة للاستشارات

- غايات تعليمية Educational من خلال تبادل الأفكار والمواد التعليمية وتبادل الأخبار والمعلومات والخبرات. ليست مواقع التواصل الاجتماعى والمجتمعات الافتراضية شرا كلها بطبيعة الحال مالم تغادر التثقيف والإثراء إلى التسخيف والإلهاء. هناك عدد متزايد من الدراسات والأبحاث التى تتناول مواقع التواصل الاجتماعى وتأثيرها على التحصيل الدراسى بين طلاب وطالبات الجامعة لم تتوصل تلك الدراسات إلى فروق نهائية أو حاسمة فى الإنجاز والتحصيل الأكاديمى بين الطلاب الذين يستخدمون فايسبوك خاصة وبين أولئك الذين لا يستخدمونه، غير أن الدراسات تشير إلى أن الطلاب الجامعيين يميلون إلى استخدام فايسبوك وغيره من المواقع الاجتماعية لغايات اجتماعية على حساب استخدامها لغايات تعليمية وأن الطلاب والطالبات الذين يستخدمونه ينخرطون في النشاطات اللاصفية في كلياتهم وجامعاتهم أكثر ممن لا يستخدمونه[32].
- غايات ترفيهية Recreational من خلال تبادل الموسيقى والصور والمقاطع المصورة وما إلى ذلك. ومن الملاحظ أن الشخصيات المشهورة والنجوم التى تسكن عالمنا الواقعى تظل تمارس نفوذها وتأثيرها في المجتمعات الافتراضية.
- غايات أدبيّةliterary/ aesthetic من خلال تبادل الكتابات الأدبية وتبادل الآراء حولها. لقد أتاحت المجتمعات الافتراضية فرصالا حصر لها لنشر الكتابات الأدبية التى تتراوح ما بين كتابات بالغة الرداءة وبين كتابات تستحق المتابعة والاحتفاء النقدي.
- غايات نفسية اجتماعيةsocial-pyschological خروجا من العزلة وسعيا إلى بناء علاقات اجتماعية تشبع حاجات البشر بوصفهم كائنات اجتماعية، تتيح مواقع التواصل الاجتماعى الفرصة لمن لا يجيدون التعامل مع الآخرين في الواقع لأنها تجنبهم حرج التواصل وجها لوجه.

المنارة للاستشارات

- غايات شبقية وهميةillusory/ erotic على شبكة الإنترنت سراديب وأركان حمراء لا حصر لها لراغبي اللذات الجنسية الوهمية التي يمكن أن تتحول إلى علاقات واقعية. لا تقتصر مخاطر هذه الممارسات على الخروج على الأخلاق بل تتجاوز ذلك إلى تدمير الأسر ورفع معدلات الطلاق في حال أدمن الأزواج أو الزوجات قضاء أوقاتهم في الجري وراء هذه الأوهام.
- غايات عاطفيةemotional. قد تنتهي تلك المواقع إلى التأسيس لعلاقات عاطفية منها ما ينتهي بالزواج في الواقع، غير أن العلاقات التي تبدأ من الفضاء الافتراضي تظل تتهددها الأكاذيب والأوهام ما لم تخضع لاختبارات العالم الواقعي[33].

3. مميزات المجتمعات الافتراضية:

يشتمل المجتمع الافتراضي على خصائص لعل أهمها:-

- المرونة وانهيار فكرة الجماعة المرجعية بمعناها التقليدي، فالمجتمع الافتراضي لا يتحدد بالجغرافيا أو القبيلة بل بالاهتمام والمصلحة.
- يستطيع المرء أن يتواصل مع غيره عبر مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات ومجموعات الأخبار وغيرها من وسائط وبيئات إلكترونية في سيارته أو بيته أو مكتبه في أي وقت طالما توفر له حاسب آلي أو هاتف محمول أو حاسب محمول وخدمة إنترنت، ولأن حدود الجغرافيا لم تعد تلعب دورا في تشكيل المجتمعات الافتراضية، فهي مجتمعات لا تنام، فصباح الإمارات العربية المتحدة فجر في الجزائر وظهيرة في غيرها وليل الإمارات فجر في سيدني وهكذا. يستطيع المرء أن يجد من يتواصل معه في المجتمعات الافتراضية على مدار الساعة.
- تنتهي إلى عزلة وانفراد، على ما تعد به من انفتاح على العالم وتواصل مع الآخرين، من العجيب أن المجتمعات الافتراضية وقد نشأت لأغراض

المنارة للاستشارات

شتى منها تخليص البشر من عزلتهم تنتهى بهم إلى عزلة جديدة عن عالمهم الواقعى، هذه هى المفارقة الكبرى في المجتمعات الافتراضية، مفارقة يلخصها عنوان كتاب لشيري تيركل Sherry Turkle هو كتابTechnologies WeExpect More from AloneTogether: Why thanfromEachOther" نحن معا، لكنّنا وحيدون: لماذا أصبحنا ننتظر من التكنولوجيا أكثر مما ينتظر بعضنا من بعض؟".

- لقد نتج عن تطور المجتمعات الافتراضية حالات متفاوتة من الانقطاع عن العالم الواقعى وانهيار العلاقات الاجتماعية، لم يعد الناس يتزاورون كما كانوا يفعلون من قبل فقد أغنتهم الرسائل النصيّة القصيرة ورسائل البريد الإلكترونى والبطاقات الإلكترونية وما يكتبون ويتبادلون على فايسبوك والتويتر عن التزاور والمعايدة، من هنا لم تعد صورة الأسرة التى تعيش في بيت واحد بينما ينهمك كل فرد من أفرادها في عالمه الافتراضى الخاص، لم تعد هذه الصورة مجرد رسم كاريكاتيرى، بل حقيقة مقلقة تحتاج مزيدا من الانتباه والاهتمام.

- أنها لا تقوم على الجبر أو الإلزام بل تقوم في مجملها على الاختيار، ليس هناك ما يرغم أحدا على قبول صداقة غيره، ولا على الرد على رسالة إلكترونية أو التعليق على مداخلة أو تدوينة، في المجتمعات التقليدية لا يختار البشر آباءهم أو أمهاتهم أو إخوتهم أو أخواتهم أو سائر أقربائهم، لكنهم يختارون أصدقاءهم على فايسبوك، من هنا تبقى المجتمعات الافتراضية غير مستقرة تعوزها الاستمرارية، وهى في أسوأ حالاتها تجمعات وأمكنة عائمة غائمة عابرة ينهمك سكانها العابرون طواعية في هذيان جماعى حر consensual hallucination بتعبير داونز Downes Daniel[34].

- في المجتمعات الافتراضية وسائل تنظيم وتحكم وقواعد لضمان الخصوصية والسرية وفيها درجات من المنع والحجب لما يعتقد القائمون على تنظيم

المنارة للاستشارات

هذه المجتمعات أنه خروج على الأخلاق وانتهاك لخصوصيات الآخرين، قد يكون الحجب مفروضا من قبل القائمين على مواقع التواصل الاجتماعى وغيرها من المجتمعات الافتراضية، وقد يمارس الأفراد أنفسهم فى تلك المجتمعات الحجب أو التبليغ عن المداخلات والمواد غير اللائقة أو غير المقبولة، (غير أن التحايل على تلك القواعد والتنظيمات يظل ممكنا يسيرا على من يريد). في حالات أخرى تلجأ بعض الحكومات إلى تعطيل قنوات الاتصال جملة وتفصيلا لضمان عدم التنسيق بين أفراد الجماعات التى تهدد أمن البلاد من وجهة نظر تلك الحكومات. سوف تبقى مسألة الرقابة موضع خلاف وجدل ما بقى البشر ولعل التجربة الإنسانية والرسالات السماوية والفلسفات الرصينة ترشدنا إلى ضرورة الاعتدال والوسطية – لا إفراط ولا تفريط – وإلى قدسية أعراض الآخرين ودمائهم فلا ضرر ولا ضرار.

- أنها فضاءات رحبة مفتوحة للتمرد والثورة – بداية من التمرد على الخجل والانطواء وانتهاء بالثورة على الأنظمة السياسية مرورا بالتمرد على الأخلاق العامة واللياقة واللباقة. من أسباب ذلك أن المجتمعات الافتراضية تتيح لروادها التخفى فلا يشعرون بالحرج في الكتابة عما يجول بخواطرهم أو خواطرهن، ولا في تبادل السباب والشتائم. وعندما يستخدم هؤلاء أسماءهم الحقيقية لا يشعرون بنفس الحرج أو الارتباك الذي يشعرون به في المواجهات الواقعية.
- كذلك تتسم المجتمعات الافتراضية بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهى بالتدريج إلى تفكيك مفهوم الهوية التقليدي، في المجتمعات الافتراضية أركان وزوايا وفيها مراكز تأثير مختلفة لا تنتهى إلى مرجع منفرد، ليست المجتمعات الافتراضية مدينة فاضلة واحدة ولا فضاء واحدا بل فضاءات تتقاطع وتتوازى وهى بتعبير رينينجر و شومار Shumar & Renninger فضاءات طوباوية متعددة heterotopia– على الأقل من وجهة نظر من

المنارة للاستشارات

يتمتعون بالإقامة فيها، أما من يدير تلك المجتمعات ويتحكم فيها فهم الأدمنز adminsأو administratorsأو مديرو الصفحات ومنشئو المواقع الاجتماعية[35].

- لم تعد الجغرافيا ولا الانتماء العرقى أو القبيلة تتحكم في وجهة الانتماء، أصبح الانتماء إلى الوطن الأم بمعناه التقليدي تحية علم ونشيدا وطنيا يردده التلاميذ في ملل في طوابير الصباح. جهود المدارس والمؤسسات الوطنية والمنظمات غير الحكومية يواجهها طوفان من العوالم الافتراضية التى تأخذ روادها وسكانها – إلا من بلغ منهم مرحلة كافية من النضج والوعى - بعيدا عن بيئتهم الطبيعية وعن ثقافتهم ولغتهم ودينهم، وعن واجباتهم اليومية والتزاماتهم الدراسية أو المهنية والأسرية، ولا يقتصر تفكيك الهوية على الهوية الوطنية أو القومية بل يتجاوزها إلى الهوية الشخصية، ذلك لأن من يرتادون المجتمعات الافتراضية يرتادونها في كثير من الأحيان بأسماء مستعارة ووجوه ليست وجوههم، وبعضهم له أكثر من حساب بأكثر من هوية وفق غاياته أو غاياتها – هوية مع زملاء العمل وأخرى مع الأصدقاء وهويات أخرى لأغراض أخرى، في مثل هذه الظروف يصدق على الحياة في المجتمعات الافتراضية ما سبق من وصفها بالهذيان الجماعى الحر، ربما تكون القدرة على التأقلم وإتقان أداء أدوار متباينة في الحياة والمواءمة بين المقام والمقال مهارات تستحق التقدير، لكن التحايل والتخفى في سبيل إشباع وقتى وهمى، والكذب لإيقاع فرائس افتراضية قد تتحول فيما بعد إلى فرائس حقيقية – ذلك هو الوجه القبيح من قدرة البشر على التلون.

المنارة للاستشارات

رابعا:-المجتمعات الافتراضية بديلا للمجتمعات الواقعية:

- في سؤالطرحته علىزملائى وأصدقائى في فايسبوكلم يجب أحد عن سؤال هذه الدراسة – "هل يمكن للمجتمعات الافتراضية أن تحل محل المجتمعات الواقعية؟" –بالإيجاب، بل أجمعت الإجابات على أن المجتمعات الواقعية تبقى هى الأصل، هى نقطة الانطلاق والرجوع. فيما يلى بعض ما تلقيت من إجابات وتعليقات، مع حجب الأسماء حرصا على الخصوصية ومع قليل من التصرف بغرض التصويب:
- من الممكن التخلى عن العالم الواقعى والاستغناء عنه بما يسمى العالم الافتراضى لظروف معينة مثل بُعد المسافة والرغبة في التعامل مع جنسيات مختلفة وتبادل الثقافات أو معالجة الخجل لكن لفترة معينة، وبعد انتهاء حالة الانطواء والتقوقع داخل مواقع التواصل الاجتماعى نكون في أشد الحاجه للخروج بالعلاقات والصداقات للعالم الواقعى الذى يمكننا من خلاله معرفة مع من نتحدث ومن نصادق، وهذا يعنى أنه ليس هناك ما يسمى بالعالم الافتراضى وإنما هى وسيلة أسرع للتواصل مع عدد أكبر من الأصدقاء في العالم الواقعي.
- طبعاعملية التواصل الاجتماعى المباشر من لغة منطوقة ولغةأخرى غير مباشرة لها أهمية كبرى في فهم الاخر.
- الفرق بين العالم الحقيقى والعالم الافتراضى في نظري كالفرق بين الوردة في البستان والوردة البلاستك ... الروح هي الفرق.
- اعتقد أنه من الصعب أنأستغنى بالعالم الافتراضى عن الواقعى ولكن لا أنكر فضل فايسبوك في معرفتى بأشخاص رائعين ما كنت عرفتهم بدونه ويسمح لنا بمعرفة حالتهم المزاجية مما ينشرون وأحوالهم جميعها.
- لقد أصبح ما يسمى بالعالم الافتراضى أو الإعلام الجديد مساحة لإبراز المواهب، وحافزا للإبداع، وهنا إيجابية عالية سيما وأن العقل العربي لديه

المنارة للاستشارات

استجابة عالية للإبداع والابتكار عند الحاجة ...والحاجة أم الاختراع... والإعلام الجديددافع كبير للتعلم والتطوير في الثقافة العامة والتخصص. الإعلام الجديد فرصة كبيرة لترتيب الأوراق والانطلاق من حيث ابتكر الآخرون، دعما وتطويرا للمورد البشري الفرد... فهو من يغذي المحتوى العربى، وفرصة للتنافسية التكاملية في مختلف المجالات، فالانعكاسات السابقة هى أمثلة محفزة لصاحب كل فن ومجال في انعكاسات الإعلام الجديد على مجاله، وأوجب التفكير والتخطيط للأجيال القادمة.

- طبعا لا.. لأن العالم الواقعى هو الأساس، ومهما تقدمت وسائل الاتصالات بين البشر بأنواعها المختلفة، إلا أن التواصل البشري الفعلى والملموس يظل الأصل لحكمة التعارف التى أوصانا بها رب العزة ...(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم). ويتطلب هذا التعارف المقابلة والمصافحة والمعانقة، التى يفتقدها العالم الافتراضى، فضلا عن الثواب الذى أخبرنا به رسول الله حيث يقول: "ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا" ...

- أما عن تناول فايسبوك بإزاء العالم الواقعى وكأن من ينتمى لأحدهما لا ينتمى للمعسكر الآخر، فلا أرى داعيا للتقابلية والتفاضلية، فكلاهما يكمل الآخر، ولكل منهما خصائص وسمات ... فلعالم الواقع اللقاء والمعايشة والمعاصرة والمواجهة، وللعالم الافتراضى التنوع والتواصل واختزال المسافات والأمكنة والتدفق المعلوماتي الرهيب..

- منذ سنين قابلت رجل أعمال كان معلم رياضيات في مدرسة باليابان وهاجر إلى أمريكا وعاش حياة صعبة وعمل أيضا كمدرس رياضيات لفترة وبعد ذلك صمم بعض برامج تشغيل الكمبيوتر واشتهر وأنشأ شركة كبيرة جدا لا يحضرنى اسمها المهم جعل مقر الشركة مضربا للأمثالجعل هناك حمام سباحة للموظفينورفاهيات لم تكن معهودة في شركات

المنارة للاستشارات

أمريكاوبيته كان آية فى الجمال والثراء وسبب سردى لكل هذه القصة هو أن المذيع سأله: هل تستطيع الحياة بدون هذه المقتنيات والفلوس؟ أجاب: عشت قبل ذلك بدونها ويمكن لحياتى أن تستمر بدونها. فيعنى خلاصة الكلامهو أنى عشت قبل فايسبوك حياة جميلة وبدونه ربما كانت الحياة أفضل أو على الأقل طبيعية.

- إجابتى هى لا. لأن الإنسان خلقه الله وميزه بعقل ومشاعر لا يمتلكها غيره من المخلوقات والتى لا يتم تفعيلها إلا بتواصله مع الآخرين والتواصل أنواع ولكن أسماها هو التواصل الملموس والذى يتفاعل فيه الإنسان فيؤثر ويتأثر وإلاأصبح شخصا مريضا بالأمراض النفسية المعقدة.
- أكيد لا، لأنه انعكاس للعالم الواقعى أحياانانغمس في العالم الافتراضى هربا من الواقع، أيا كانت الدوافع... لذلك تجد كثيرا من الناس في العالم الافتراضى يعبّرون عن حالتهم النفسية في معظم الوقت بالسلب، أي أن الأمزجة غالبا ما تكون مضطربة خصوصا لدى الشباب ... يعنى لو الحياة الواقعية جميلة ومريحة أكيد الناس سوف تنغمس فيها لأنها أوقع وأصدق.
- من تواصل مع الأصدقاء الذين فرقتهم المسافات، ومتابعة الأخبار، الترويح عن النفس بانشغالها بأمر صديق ما عنده مشكلة أو خلاف من خلال متابعة صفحته... إلخ، لكن أيضا له مساوئ كثيرة... مستحيلالإنسان يستغنى عن العالم الواقعى حتى لو تخيل إنه يقدريجد نفسه طبيعي يرجع إلى الواقع..
- أحب أيضا أن أشير أن الأمر في وصف الراشدين والناضجين مثلكم يختلف كثيرااذا انتقلنا إلى عالم المراهقة بمافيها المراهقة المتأخرة، فالانفصال عن العالم الواقعى إلى عالم افتراضى انعزال مرضى، وقد يكون هروبا من مواجهة الآخرين لعدم القدرة على التكيف والتوافق معهم(وأقصد هنا الاسراف والادمان في الاستخدام) وأضيف أن الافراط في استخدام

المنارة للاستشارات

الانترنت يصنف الآن ضمن وجوه الادمان) ... وأدعو كل مدمن لتقليل ساعاته اليومية على الانترنت بشكل تدريجى وأن يتفاعل مع الناس أكثر من أن يجلس إلى شاشة الدردشة ...

- بعض ما ورد في هذه الإجابات تكرار لبعض ما ورد في مناقشة المجتمعات الافتراضية عموما ومواقع فايسبوك خصوصا. في الإجابات تأكيد على أسبقية التواصل وتكوين الصداقات على غيرهما من غايات استخدام مواقع التواصل الاجتماعى، وفيها تكرار للهروب من الواقع بوصفه مبررا مهما لاستخدام هذه المواقع، وفيها استطرادات عن منافع التواصل الافتراضي المعرفية والأدبية وفاعليته في التغلب على الخجل.
- فى الإجابات إضافة إلى ما سبق إشارات مهمة إلى فروق جوهرية بين التفاعل في المجتمعات الافتراضية والتفاعل في الواقع، منها لغة الجسد التى لا تتيحها العوالم الافتراضية والحميمية التى تتسم بها العلاقات الواقعية ولا يتيحها الفضاء الرقمى حتى حين يتواصل الناس فيه من خلال الكاميرات، وفيها إشارات دينية ليست غريبة على مجتمع عربى إسلامى تتعلق بأهمية المصافحة والعناق وغير ذلك في تحقيق التعارف الذي جعل الله تعالى من أجله الاختلاف والتنوع.
- على أن الإجابات لا تشير من قريب أو بعيد إلى الفخاخ والأشراك المنصوبة في المجتمعات الافتراضية ربما لأن الأشخاص الذين أجابوا عن السؤال ليسوا ممن يقع في هذه الفخاخ والأشراك، وربما لأن من يجيب لا يقول كل ما يعرف. لكن الفخاخ منصوبة والأشراك حقيقية لا شك فيها. في الإجابات إشارة مهمة إلى إدمان مواقع التواصل الاجتماعى وقد أصبح مرضا نفسيا لا سبيل إلى إنكاره. وفي الإجابات تحذير مهم من المقابلة القسرية بين العالمين وافتراض أن صلاح أمر الناس في أحدهما يعنى بالضرورة التخلص من الآخر.

المنارة للاستشارات

- ينتهى بنا هذا الاستغراق فى المجتمعات الافتراضية إلى إجابة حاسمة نهائية هى أن تلك المجتمعات لا تغنى عن الواقع لكل ما سبق من أسباب ولأن المجتمعات الافتراضية لم تتطور بعد بما يتيح للبشر أن يفعلوا فيها كل ما يفعلون في الواقع.
- طالما ظلت المجتمعات الافتراضية أقرب إلى الإثراء منها إلى الإلهاء، فلا خوف على سكانها أو زوارها. عندما ينفق البشر جل حياتهم يسبحون في عالم افتراضى وتنخلع جذورهم من أرض الواقع، عندما يكون رواد المجتمعات الافتراضية مهذبين مجاملين بينما يتعاملون مع من يحيطون بهم في العالم الواقعى بفظاظة أو إهمال، عندما يقصّر الأزواج والزوجات في أداء حقوق شركاء حياتهم الواقعية، بينما يغدقون على صديقاتهم وأصدقائهم الافتراضيين من محبتهم ودعمهم واهتمامهم ورعايتهم، عندما يترك الموظفون أعمالهم وينشغلون بالدردشة، وعندما يترك الناس واجباتهم الاجتماعية تجاه جيرانهم وزملائهم وذوي قرابتهم بينما يحافظون على واجباتهم نحو أصدقائهم في العالم الافتراضى، عندما يعيش سكان المجتمعات الافتراضية في متع مجانية وهمية وينفرون من مسؤولياتهم الواقعية وما يحيط بهم من أسباب السعادة، عندما ينشغل الناس في كل بقاع العالم في البحث عن كنوز العالم الافتراضى بينما ننشغل نحن في العالم العربى بالبحث عن القمامة – عندما يحدث هذا وما إليه يظهر الخطر ويكون الانهيار.

المنارة للاستشارات

❖ **هوامش البحث**

(1) الوثيقة 30WSIS-II/PC-3/DT/10(Rev.4)-A سبتمبر2005- [66.67] نحن نؤكد على أهمية أمن الإنترنت واستمراريتها واستقرارها، وضرورة حماية الإنترنت وغيرها من شبكات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من التهديدات ومواطن الضعف. ونؤكد على ضرورة الوصول إلى تفاهم مشترك للمسائل الخاصة بأمن الإنترنت، ومزيد من التعاون في تسهيل الوصول إلى المعلومات المتعلقة بأمن الإنترنت وتجميعها ونشرها، وتبادل أفضل الممارسات بين جميع أصحاب المصلحة بشأن التدابير الموجهة نحو مكافحة التهديدات الأمنية للإنترنت على المستويين الوطني والدولي.]

(2) نحن ندعو جميع أصحاب المصلحة إلى ضمان احترام الخصوصية وحماية المعلومات والبيانات الشخصية،...

(3) صدرت هذه الوثيقة، عن المؤتمر التحضيري رفيع المستوى لقمة تونس، في القاهرة 9 - 10 ماي.

(4) عبد الهادي العجلة، مواقع التواصل الاجتماعي: فضاء عام أم خاص؟، متاح: http://roundups.jadaliyya.com

(5) أحمد زايد،عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية، عالم الفكر، مجلد 32، يوليو / سبتمبر 2002، ص61.

(6) Bishop, Ann Peterson, Community for the new century, Journal of Adolescent&AdultLiteracy, vol- 34, issue 5 Feb 2000, p472.

(7) RhingoldHaward, Virtual Community :http//:www.h(R)Vcboal.com.

(8) Mathewj Smith, Community Building Strategies in online fanzines, journal of Popular culture, vol 33, issue 2, 1999, p 87.

المنارة للاستشارات

(9) A. Beghetto Ronaldo, virtually in the middle Alternative Avenues For parental Involvement in Middle, levelsschools, learning house , vol 57 , issue 1,Sep /Oct 2001,p 23.

(10) Alison Smith, Cyber Life and Cyber harm: ahumanrightsapproach, social alternatives, Vol 17, issue 4, Oct 98,p 8

(11) Jenkinson Michael, Alberta Report, Welcome to the virtual world, Western report, Vol 21, issue 3, 1994,p 24.

(12) Bakardjieva Maria, Internet Society : The Internet in everyday life, Sage publications, London, 2005, p 37.

(13) C. kinnelly Susan,problems and promises in the study of virtualcommunity:A case Study,university of Pennsylvania, school of social works,USA, 2000www.isoc.orglinet2000/cdproceedings/29/29-.1htm.

(14) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات : رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، العدد 265، 2001، ص501.

(15) نبيل علي،صورة الثقافات العربية والإسلامية علي الإنترنت وخطة تنفيذية مقترحة لإقامة شبكة مواقع خدمات للإعلام الثقافي العربي، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، تونس، 1999، ص51.

(16) Irvein Martin, Global cyber culture :reconsidered : cyberspace Identities and the Global information city : disponible sur : www.georgetown.edu/faculty/Irven/articles/globalculture.html.

(17) Bruce Bower, the social net, science news, vol 161, issue 18, 2002, p 282.

(18) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق، 2001، ص501.

المنارة للاستشارات

(19) شاكر عبد الحميد، عصر الصورة الإيجابيات والسلبيات، عالم المعرفة، عدد 211، 2002، ص82.

(20) محمد محيي الدين،المشكلات النظرية والمنهجية للبحث السوسيو- أثنوجرافي في المجتمعات المتخيلة، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 32، العدد 4، 2004، ص180.

(21) عمرو الجويلي، العلاقات الدولية في عصر المعلومات : مقدمة نظرية، مجلة السياسة الدولية، السنة 32، العدد 123، يناير 1996، ص67.

(22) Layzer Jonathan and others, collecting user requirements in a virtual population: A case study, USA, 2000.

(23) EV. Brenner, Report from the fieldvirtualcommunity in the business world, information today, vol 17 , issue 11, Dec. 2000, pp 67,68.

(24) نبيل علي: مرجع سابق،ص501.

(25) بسيوني إبراهيم حمادة،حرية الإعلام الإلكتروني الدولي وسيادة الدولة : مع إشارة خاصة إلي الوضع في الدول النامية، كراسات التنمية، مركز الدراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2001، ص ص34-53.

(26) أحمد زايد،عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية، عالم الفكر، المجلد 3، يوليو / سبتمبر 2003، ص61.

(27) محمد محيي الدين , مرجع سابق , ص608.

(28) Rheingold Howard, The Virtual Community , Addison-Wesley, Boston, 1993.

(29) De Moor Aldo, Weigand Hans, Formalizing the evolution of virtualcommunities , Information Systems32(2), 2007, pp 223-247 .

المنارة للاستشارات

(30) D. W. McMillan , D. M. Chavis, Sense of community: A definition and theory, Journal of CommunityPsychology, n° 14 ,1986, pp 6-23.

(31) البلوشي، فتحية: "احتيال إلكتروني احذروه". الاتحاد، 21 أكتوبر، 2011..

(32) G. Grosseck, R. Bran, L. Tiru, Dearteacher, whatshould I write on mywall ? A case study on academic uses of facebook. Procedia , Social and Behavioral Sciences, n° 15 , 2011, pp 1425-1430.

(33) A. D. Smock, N. B. Lampe Ellison, D. Y. Wohn, Facebook as a toolkit: A uses and gratification approach to unbundlingfeature use. Computers inhumanBehavior, 2011, p27.

(34) Daniel Downes,The Poetics of Cyberspace :Interactive Realism, McGill-Queen'sUniversityPress, 2005, p20.

(35) K . Ann Renninger, Shumar Wesley, Building Virtual Communities, Cambridge UniversityPress, 2002, p27.

المنارة للاستشارات